

تفسير البحر المحيط

@ 274 .

الخرذل : حب معروف . .

{ اقْتَرَبَ * حَسَابُهُمْ ° وَهَمْ ° فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ ° مَنْ ذَكَرَ مَنْ رَبِّهِمْ ° مَّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ ° وَهُمْ ° يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ° وَأَسْرَرُوا ° النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ° هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ ° أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ ° وَأَنْتُمْ ° تُبْصِرُونَ * قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ ° فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ° وَهُوَ ° السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوا ° أَضْغَاثٌ ° أَحْلَامٌ ° بَلْ افْتَرَاهُ ° بَلْ هُوَ ° شَاعِرٌ ° فَلْيَأْتِنَا ° بِنْيَايَةٍ ° كَمَا أُرْسِلَ ° الْإِنسَانُ ° * مَا ءَامَنَتْ ° قَدِيلَهُمْ ° مِنْ قَرْيَةٍ ° أَهْلَكَنَّهَا ° أَفَهُمْ ° يُؤْمِنُونَ * ° وَمَا أَرْسَلْنَا ° قَبْلَكَ ° إِلَّا رَجَالًا ° نُوْحِي إِلَيْهِمْ ° * ° فَاسْأَلُوا ° أَهْلَ الذِّكْرِ ° إِنْ كُنْتُمْ ° لَا تَعْلَمُونَ * ° وَمَا جَعَلْنَاهُمْ ° جَسَدًا ° لَّا ° يَأْكُلُونَ ° الطَّعَامَ ° وَمَا كَانُوا ° خَالِدِينَ * ° ثُمَّ ° صَدَقْنَاهُمْ ° الْوَعْدَ ° فَأَنْجَيْنَاهُمْ ° وَمَنْ نَشَاءُ ° وَأَهْلَكَنَا ° الْمُسْرِفِينَ * ° لَقَدْ أَنْزَلْنَا ° إِلَيْكُمْ ° كِتَابًا ° فِيهِ ذِكْرُكُمْ ° أَفَلَا ° تَعْقِلُونَ } . .

هذه السورة مكية بلا خلاف ، وعن عبد الله : الكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء من العتاق الأول ، وهن من تلاميذ أي من قديم ما حفظت وكسبت من القرآن كالمال التلاد . ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه لما ذكر { قُلْ ° كُلُّ ° مِّتْرَبِّصٌ ° فَتَرَبِّصُوا ° } قال مشركو قريش : محمد يهدنا بالمعاد والجزاء على الأعمال وليس بصحيح ، وإن صح ففيه بعد فأنزل الله تعالى { اقْتَرَبَ ° لِلنَّاسِ ° حِسَابُهُمْ ° } ، و { اقْتَرَبَ ° } افتعل بمعنى الفعل المجرد وهو قرب كما تقول : ارتقب ورقب . وقيل : هو أبلغ من قرب للزيادة التي في البناء . والناس مشركو مكة . وقيل : عام في منكري البعث ، واقتراب الحساب اقتراب وقته والحساب في اللغة إخراج الكمية من مبلغ العدد ، وقد يطلق على المحسوب وجعل ذلك اقتراباً لأن كل ما هو آت وإن طال وقت انتظاره قريب ، وإنما البعيد هو الذي انقرض أو هو مقترب عند الله كقوله { وَإِنَّ ° يَوْمًا ° عِنْدَ ° رَبِّكَ ° كَأَلْفِ ° سَنَةٍ ° مِّمَّا ° تَعُدُّونَ ° } أو باعتبار ما بقي من الدنيا فإنه أقصر وأقل مما مضى . وفي الحديث : (بعثت أنا والساعة كهاتين) . قال الشاعر : % (فما زال من يهواه أقرب من غد %) .

وما زال من يخشاه أبعد من أمس .

و { لـِلنَّـاس } متعلق باقترب . وقال الزمخشري : هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب ، أو تأكيداً لإضافة الحساب إليهم كما تقول أزف للحي رحيلهم ، الأصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثني فيه المستقر توكيداً عليك زيد حريص عليك ، وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم : لا أبا لك لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة ، وهذا الوجه أغرب من الأول انتهى يعني بقوله صلة أنها تتعلق باقترب ، وأما جعله اللام تأكيداً لإضافة الحساب إليهم مع تقدم اللام ودخولها على الاسم الظاهر فلا نعلم أحداً يقول ذلك ، وأيضاً فيحتاج إلى ما يتعلق به ولا يمكن تعلقها بحسابهم لأنه مصدر موصول ولا يتقدم معموله عليه ، وأيضاً فالتوكيد يكون متأخراً عن المؤكد وأيضاً فلو أخرج في هذا التركيب لم يصح . وأما تشبيهه بما أورد سيبويه فالفرق واضح لأن عليك معمول لحريص ، وعليك الثانية متأخرة توكيداً وكذلك فيك زيد راغب فيك يتعلق فيك براغب ، وفيك الثانية توكيد ، وإنما غره في ذلك صفة تركيب حساب الناس . وكذلك أزف رحيل الحي فاعتقد إذا تقدّم الظاهر مجروراً باللام وأضيف المصدر لضميره أنه من باب فيك زيد راغب فيك وليس مثله ، وأما لا أبا لك فهي مسألة مشكلة وفيها خلاف ، ويمكن أن يقال فيها ذلك لأن اللام جاورت